تقنيات الحجاج و الإقناع

إعداد / أ.د بوزيد ساسي هادف

الحجاج : تدور معاني الجذر اللغوي لكلمة (ح ج ج) حول المجادلة بسبب خلاف في الوجهة أو الرأي أو ما شابه ذلك ، و منه الدليل على الرأي المرغوب إثباته وهذا ما نجده واردا في بعض المعاجم العربية ، فمنها من أورد معنى الحجاج "غلبه بالحجة ، أو حاجه محاجة ، وحجاجا، جادله، واحتج عليه ، أقام عليه الحجة ، وعارضه مستنكرا فعله ، و تحاجوا : تجادلوا ، و الحجة الدليل و البرهان " (1)

يظهر من هذا أن الحجاج يكون لخصومة ، وهذا ما دلت عليه كلمة (غلبة) و تكون الغلبة في الكلام والخطاب للذي يقيم الحجة والبرهان على صحة ما يدعي ، و ما دام هناك خصومة فالجدل هو المظهر الذي يجسد صورة الخطاب الحجاجي.

و يعرفه طه عبد الرحمن بأنه "**كل منطوق به موجَّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها**" (2).

و قد عرّفه أبو بكر العزاوي في كتابه اللغة و الحجاج، بقوله : " **هو تقديم الحجج و الأدلة المؤدية إلى نتيجة** " (3) ، **وهو" عبارة عن مختلف الوسائل الاستدلالية الطبيعية التي تستهدف أساسا إقناع المُخاطَب بقول ما بالبناء على ما يعلم أو يفترض أن المخاطب يسلّم به من أقوال غيره** " (4). فالحجاج من خلال ما سبق هو عبارة عن مسلمات خطابية قابلة للرفض أو القبول ، مدعمة بحجج و براهين بهدف الإفحام، وهو عملية تواصلية جوهرها قضية ما ، تمثل منطلق العملية الحجاجية طرفاها مخطِب مؤثِّر و مُخاطَب متأثر بما يحمله عنصر الخطاب.

فالحجاج هو العلم الذي يدرس " أشكال ووسائل التأثير في المتلقي التي في إطار النص اللغوي أو في الإطار السيميائي العام ، بهدف الإقناع بفكرة ما، أو الدفاع عن فكرة ما ، أو الهجوم على فكرة ما ، للوصول إلى الإقناع أو الإفحام " (1) .**فالحجاج هو**" إنتاج طريقة معينة من الاتصال، غايته استمالة عقول الآخرين والتأثير فيهم، و بالتالي إقناعهم بمقصد معين" (2).أي إن الحجاج وسيلة تواصلية بهدف التأثير في الآخرين و إقناعهم بفكرة معينة.

و يقدم بيرلمان تصورا جديدا للحجاج ، حيث يقصد به : " **دراسة التقنيات التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى الإذعان فـ** موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم "

فالتركيز هنا منصب على : التقنيات التي تجعل الخطاب يؤثر في أذهان المتلقين .

فهو جملة من الأساليب والتقنيات الخطابية التي يقصد منها غاية تتمثل في جعل العقول تذعن لما يُعرض عليها أو على الأقل زيادة درجة هذا الإذعان . فالحجاج ،إذن ، هو " **النزاع و الخصومة بواسطة الأدلة و البراهين الكلامية و الحجج العقلية فيكون بهذا مرادفا للجدل** (3) .

علاقة الحجاج بالإقناع :

الإقناع في اللغة : يكمن في الإقبال على الشيء والرضا به والقبول بالرأي والاطمئنان إليه .

و إذا كانت الخطابة فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية قصد الإفهام و التوجيه ... فإنه يستلزم على الخطيب أن يبني كلامه على الحجج و البراهين و ذلك لان الهدف الذي يريده من خطابه هو إقناع السامع ، أي : " **إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي لديه** " فالإقناع من هذا الباب هو " **حمل السامع على التسليم بصحة المقول و صواب الفعل أو الترك** " ،و لما كان الإقناع يعني وجود طرفين أو أكثر، وأنه ذو صلة متلازمة مع المجتمع بشرائحه المتفاوتة في البيئة و الثقافة ... فلابد من توافر أمور ثلاثة يمكن من خلالها أن تتم عملية الإقناع بأكمل وجه:

1 ـ فاعل يقوم بعملية الإقناع: و يستلزم هنا أن يكون لديه القدرة على استمالة الجمهور إليه و إحداث تغير في نفوسهم.

2 ـ مادة إقناعية: و المتمثلة في الحُجَّة التي يتم من خلالها التوصل إلى إقناع المتلقي

3 ـ متلقي (الجمهور): ويجب أن يكون المخاطَب في هذه الحالة مهيأ لقبول الحجة و الاقتناع بها، لأن " العملية الإقناعية مبنية على الإقناع و الاقتناع و لا يمكن أن تقوم على جانب واحد منهما"

المخاطب(إقناع) ⟵ **الحجة (مادة إقناعية)** ⟵ **المتلقي (اقتناع).**

* و يسعى المتكلم من خلال الحجاج إلى تحقيق الإقناع و التأثير بوصفهما أهم غرضين للحجاج.

فالغاية من الحجاج هي استمالة المستمع نحو الأطروحة المراد تثبيتها، وهذا الإذعان و الإقناع يقتضيان تماسا فكريا بين المتكلم والمتلقي.

ملحوظة : بالنظر إلى طبيعة المتلقي ، فإن كان المتكلم يخبره بكلام جديد فهو يقنع، أما إن كان المتلقي رافضا أو منكرا للكلام ، فيتحول الخطاب من إقناعي إلى حجاجي ، لأن المتلقي متى سلم بالمقدمات التي **قدّمها المتكلم**

فهو مقتنع من طرفه، و متى ردّها أو رفضها فهو محاجج، و يتمثل ردّ أو رفض المتلقي في استخدامه لحجج قد تعيق حجج المتكلم من بلوغ هدفه .

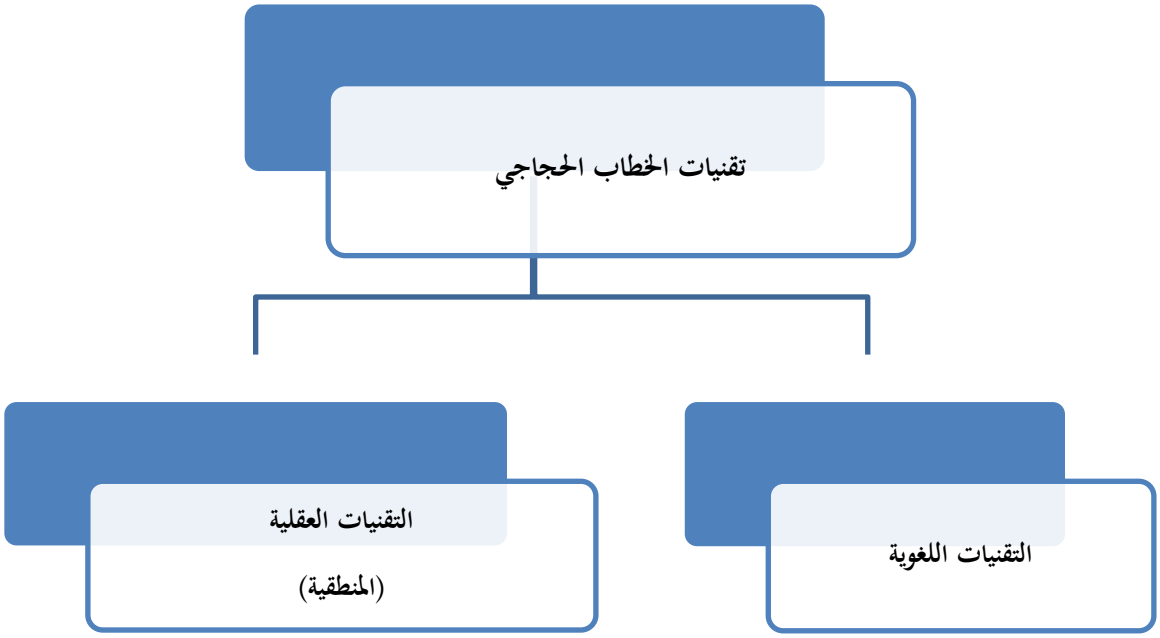

أولا: التقنيات اللغوية : و تتجلى لنا على المستوى المعجمي و التركيبي و التصويري و التحسيني ، و ذلك كما يوضحه الشكل الآتي

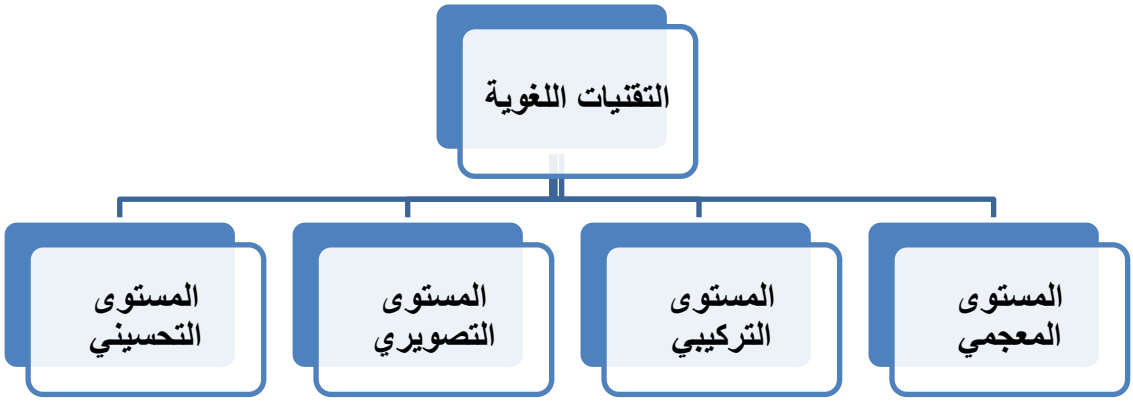

1 . التقنيات اللغوية على المستوى المعجمي : مثل: التكرار بأنواعه المختلفة ،، سواء تعلق الأمر بالأسماء أم الأفعال أم الحروف أم العبارات و قد يأتي تكرار اللفظ بذاته أو بمرادفه أو بشبه مرادفه . و هذا ينسحب

على الأفعال و الحروف أيضا... و يقصد بالتكرار هنا : ذكر كلمة أو لفظ أكثر من مرة في سياق واحد لنكتة ما ، كالتوكيد ، أو لزيادة التنبيه أو للتهويل أو التعظيم ...الخ

2 . التقنيات اللغوية على المستوى التركيبي:

3 . التقنيات اللغوية على المستوى التصويري: و تتجلى أكثر في تلك التقنيات البلاغية ، إذ إن البلاغة تعد آلية من آليات الحجاج ، وذلك لاعتمادها الاستمالة والتأثير من طريق الحجاج بالصور البيانية و الأساليب الجمالية : أي من خلال إقناع المتلقي من طريق إشباع فكره و مشاعره حتى يتقبّل القضية أو الفعل موضوع الخطاب. (الصور البلاغية المحورية + الأساليب الإنشائية الطلبية و غير الطلبية) ،أي : استعمال الخيال والتصوير والتشبيه للتأثير في المتلقي (الاستعارة / الكناية ....) ، هذا بالإضافة إلى استخدام :

أ . الاستدراك (إبراز نسبية الفكرة) لكنّ ، لكنْ ، رغم إن ، غبر أن ....

ب . الإضراب (إبطال المعنى الأول و إثبات المعنى الثاني (بل...)

ج . الاستثناء ، و النفي (نفي فكرة أو حكم) ، و الشرط ،و . القصر ....الخ

د . التوكيد (تقوية المعنى و ترسيخه عند المتلقي) ، و التكرار، إن ، أن ، لام الابتداء، نونا التوكيد الثقيلة و الخفيفة ....

4 . التقنيات اللغوية على المستوى التحسيني:و يتجلى لنا أكثر في تلك المؤثرات الصوتية في التلقي (مثل: السجع والجناس و التوازي الصوتي والصرفي ...)

5 . الآليات شبه المنطقية(العقلية): مثل :

أ . التعريف (تحديد مفهوم أو شيء باعتبار الماهية أو الوظيفة ...الخ

ب . التفسير والشرح (توضيح الفكرة و شرحها)

ج . الاستنتاج (استخلاص واستنتاج فكرة (نتيجة)

د . الاستشهاد (الدفاع عن الفكرة و إكسابها الشرعية و القبول) من خلال الإتيان بالشواهد و الحجج و البراهين المتفق بشأنها (نصوص شرعية . أبيات شعرية . آراء ...)

هـ . التمثيل (التوضيح والإقناع) إيراد أمثلة على سبيل الشرح والإقناع

و . التعليل (توضيح السبب والعلة)

ز . المقارنة (الربط بين فكرتين أو أكثر عبر التماثل أو التعارض) ، من خلال المقارنة مع ، بشكل مماثل ، عكس

ح . الوصف : التشخيص ، و التوصيف و التقريب (من خصائص ...يتميز .... يتكون من .... يتشكل .... يظهر .... كل العبارات الواصفة ...

ط . الإخبار (السرد) (تعزيز الفكرة بإيراد معلومات/أخبار/وقائع ...

ك . الإضافة (توسيع فكرة و تطويرها) ، (إضافة إلى ... زد على ذلك ..

ل . الترتيب (ترتيب الأفكار و تنظيمها) ، أولا .... ثانيا ... الأول .... الثاني .... بدءا و انتهاء

م . التقسيم و الجرد (تقسيم الفكرة إلى عناصرها و أجوائها المكونة لها (و هي كالتالي ... نذكرها على النحو الآتي ... نقسمها إلى ..... يذكر منها ..

الروابط الحجاجية: الرابط الحجاجب هو : " الذي يربط بين ملفوظين في إطار استراتيجية حجاجية واحدة "

مثل : زيد مجتهد ، إذن سينجح في الامتحان . نجد أنه يشتمل على حجة هي (زيد مجتهد) و نتيجة (سينجح) ، و الرابط الحجاجي (إذن) الذي يربط بينهما .

الآليات اللسانية (الوسائل اللسانية): ويُقصد بها **أدوات الاتساق والانسجام و الترابط ..**

أ ـ مظاهر وآليات الاتساق: يدور المعنى الاصطلاحي لمفهوم الاتساق (Cohesion) و لا سيما في مجال الدراسات اللغوية المعاصرة ، و خاصة في ما يسمى بعلم لغة النص ، **حول البنية السطحية للنص** ، أي

العلاقات و الروابط التي تشكل بنية النص . و ذلك كما يوضحه الشكل الآتي:

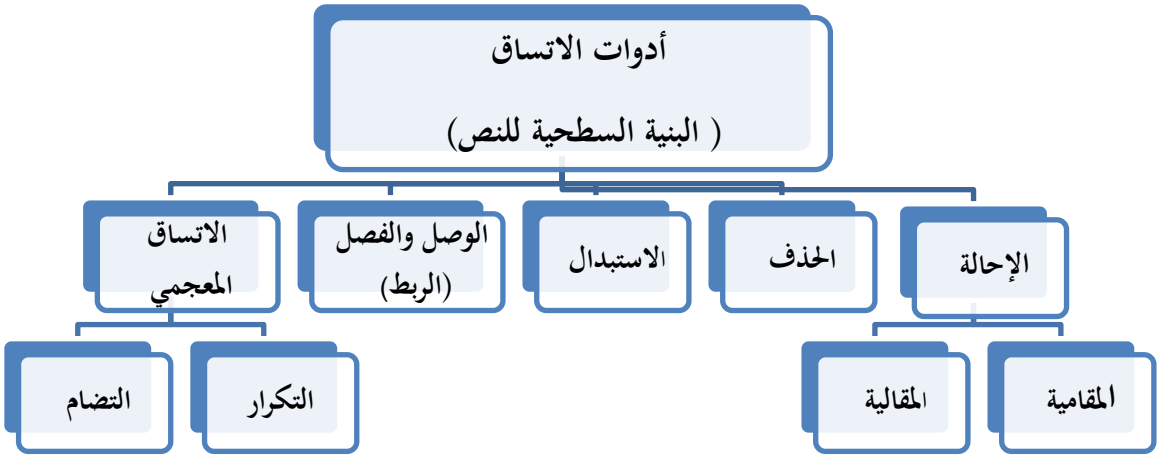

:

و من وسائل **الاتساق** نذكر: **الإحالة** (المقامية والمقالية (النصية)، و **الاستبدال** (استبدال عنصر لغوي بعنصر آخر له المدلول نفسه) ، **الحذف** ، **الوصل** ، و**التكرار** بأنواعه المختلفة سواء أكان تكرارا لفظيا أم معنويا، و**التضام** النحوي المتمثل في التلازم و المصاحبة بين العناصر النحوية ، وحاجة المفردة إلى لفظة أخرى ، فيكون لهما معاً خصوصية تركيبية بالمصاحبة الناشئة بناءً على حال الاتساق و التآلف ، في لإطار سلامة القاعدة النحوية ، والدلالي المتمثل في ذلك الترابط الدلالي بين كل متتالية من الجمل من طريق العلاقات الناشئة من توظيف الآليات النحوية في الربط بين أجزاء النص ليحقق وحدته الدلالية الكبرى (الفكرة الرئيسة)

و يقصد **بالتكرار** هنا : إعادة عنصر معجمي ، أو ورود مرادف له ، أو شبه مرادف ...

ويقصد **بالتضام** هنا : توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة ، نظرا إلى ارتباطهما بحكم علاقة من العلاقات ، كعلاقة التضاد و التنافر ، و علاقة الجزء بالكل .

ب : الانسجام : (**ترابط المفاهيم والدلالات**) ، و تتجلى على مستوى البنية العميقة للخطاب ، مثل السياق ، و بنية الخطاب و التغريض و المناسبة ... وذلك كما يوضحه الشكل الآتي :

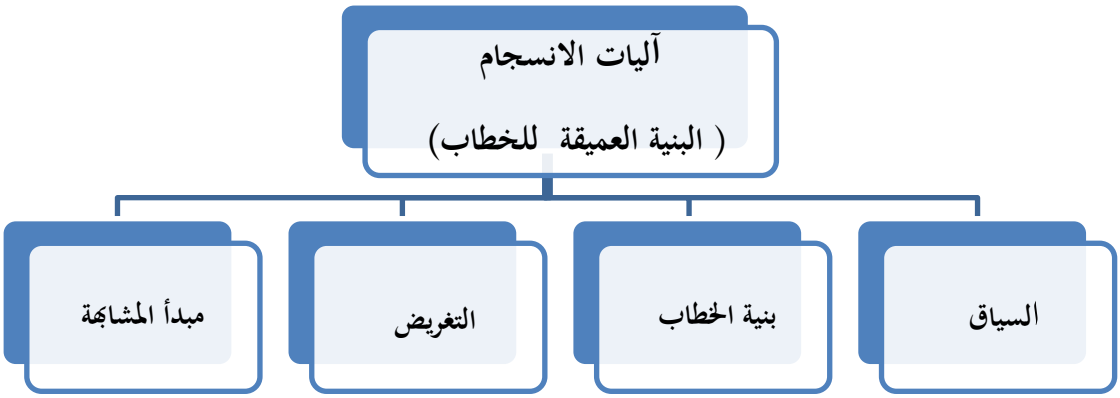

1 .. السياق بنوعيه : اللغوي و غير اللغوي ، باعتباره يحصر مجال التأويلات الممكنة ، و يدعم التأويل المقصود ، و السياق غير اللغوي يشمل : المتكلم أو الكاتب ، و المستمع أو القارئ ، و الزمان و المكان ... الخ ، فللسياق دور حاسم في تواصلية الخطاب ، و في انسجامه بالأساس.

2 . بنية الخطاب : فمن خصائص النص الإقناعي البنائية ، نذكر:

أ ـ **المقدمة**: **تتضمن** فقرة افتتاحية يتم فيها عرض (القضية/الأطروحة/ الاقتراح ....)

ب . العرض: سرد الحجج والأدلة التي تدعم (القضية/ الأطروحة/ الاقتراح ....)

ج ـ الخاتمة: تنهي النص وتربطه بما سبق

د ـ الاهتمام بمتلقي النص (جنسه / عمره / ثقافته ....)

3 ـ التغريض: يعد التغريض من المبادئ التي يبنى عليها التماسك النصي ، وهو تمحور النص حول تيمة مركزية تظهر إما في عنوانه أو فاتحته أو تكون كلمة مكررة تحوم حولها جميع أجزاء النص ، حيث تتوسع هذه البؤرة المحورية تركيبيا و دلاليا لتنسج خيوط شبكة دلالات تشكل بنية كلية .إذ يعتمد مبدأ التغريض على استناد المتلقي لثيمة النص من أجل تكوين تأويل معين ، و لو كان تأويلا أوليا ، والثيمة هي بداية قول ما ، فقد تكون العنوان أو جملة البداية ... و لها تأثير على تأويل المتلقي ، فإذا تغير مثلا عنوان نص أو خطاب ما ، فقد يتغيّر تأويل المتلقي له تكيّفا مع العنوان الجديد .

4 ـ مبدأ المشابهة: يقوم هذا المبدأ على تشابه النصوص ، و تراكم تلقيها عند المتلقي ، حيث يصبح بإمكانه أن يفترض أو يتوقع تأويلا ما لنص معين ، انطلاقا من استحضار تلقِسابق لنص آخر ... أي النر إلى الخطاب الحالي في علاقة مع خطابات سابقة تشبهه ، أي : انطلاقا من مبدأ التشابه.

ثالثا : التقنيات العقلية:مثل القياس المنطقي ،ـ التمثيل ، ـ الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية الشريفة ،ـ المقولات الفلسفية أو العلمية ،ـ الحجج الواقعية

بعض المصادر و المراجع .

ـ البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني ، . د قدور عمران

ـ البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم ، سورة الأنبياء أنموذجا ، عبد الحليم بن عيسى

اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، د. عبد الرحمن طه

ـ الخطاب و الحجاج ، د.أبو بكر العزاوي

ـ بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي ، د. مُحَمَّد العبد

مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقه ، د. مُحَمَّد الأخضر الصبيحي

ـ لسانيات النص : مدخل إلى انسجام الخطاب ، د.مُحَمَّد خطابي